



مجلة

القرية العالمية

مجلة عربية ثقافية سنوية محكمة

تصدر عن

قرية اللغة العربية انغالا - نيجيريا

(مركز جامعي للدراسات العربية)

العدد الأول: الجزء الأول

القضايا الأخلاقية في ديوان السطور العاطرة لسليمان أديبايو أحمد

إعداد

د. عيسى البني أوبكر

saalabi2003@yahoo.com

د. لطيف أونيريتي إبراهيم

oniretill@yahoo.com

قسم اللغة العربية، جامعة إلورن، نيجيريا.

ملخص البحث:

حاول البحث دراسة القضايا الأخلاقية في الشعر العربي النيجيري واتخذ ديوان السطور العاطرة لسليمان أحمد أديبايو نموذجاً لذلك، ولتحقيق الغرض عرض البحث نبذة يسيرة عن حياة صاحب الديوان ثم جعل تقصيص النوضح حول الديوان وقيمته الأدبية قبل الشروع في نقاش القضايا الأخلاقية فيه. وجاءت نتيجة البحث في الخاتمة ومقاديرها أن القضايا الأخلاقية التي توافقت وتعاليم الإسلام وقيمه النبيلة ذات أهمية كبرى لدى الشعراء النيجيريين الذين يمثلهم سليمان، وأنهم استخدموا فنههم الشعري الجميل وأساليبهم الرائعة لإبراز مزايا الأخلاق في سلوكهم ومدحهم. وأوصى البحث بالإعتناء بأعمال شعراء الديار النيجيرية بالدراسة لكشف اللثام عن قيمته الفنية والأخلاقية ولتقدير إسهاماتهم في تطوير الأدب العربي بوصف عام.

الكلمات المفتاحية: القضايا الأخلاقية، ديوان السطور العاطرة، سليمان أديبايو أحمد.

مقدمة:

إن الحديث عن الأخلاق قدم وحديث، ولا تزال تنال حتى يومنا هذا عناية الأساتذة المبرزين والمهنيين الصامرين وأصحاب المبادئ السامية في الأمم والشعوب الرشيدة المتحضرة، وهي -حسب قول فطيمة داوود- عمل عملي يهدف إلى تحقيق عناية في حياتنا، فهي تضئ الطريق السوي للإنسان، كما أن صاحب المثل العليا يسير بالطموح والتزوع إلى التسامي والتطلع إلى مزاوله حياة إنسانية كريمة، ورغبة في الارتقاء فوق مستوى السوء لتحقيق إنسانيته¹.

ويعتبر الدين بشكل عام سندا للأخلاق وموجها لها توجيهها صحيحا، وهي من أهم أهدافه لمصلحة الإنسان وسعادته ولعيش حياة الحناء والطمأنينة. ولولا الأخلاق لما استقامت الدنيا، ولصارت جحима لا نطاق. وقد كانت قضايا الأخلاق مما تثير اهتمام الكتاب والشعراء قديما وحديثا، وقالوا عنها أجمل وخير ما يقوله الشعراء. ونذكر من الشعراء العرب المتوكل النشبي، ومحمود الأيوبي، ومعروف الرصافي، وحافظ إبراهيم. وأحد شوقي أمير الشعراء الذي يعد من روائع حكمه وما جرى من شعره مجرى الأمثال.

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت ** فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا²

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم ** فأقسم عليهم ماتما وعويلا³

ونيجيريا من بلدان غرب أفريقيا المسلمة التي تلتهم فيها نار اللغة العربية وآدابها نثرا وشعرا منذ فجر تاريخها العلمي والأدبي والثقافي وبداية علاقتها مع القوافل العربية الوافدة إليها. فقد حاول الأعداء إخماد النار ففشلوا فشلا ذريعا. وكان نصيب مدينة إلورن الإسلامية من شعراء نيجيريا نصيب الأسد بدون مبالغة، فمن أبنائها صاحب ديوان "السطور العاطرة" الأستاذ الشاعر سليمان أديبايو أحمد الذي يهدف هذا البحث إلى دراسة القضايا الأخلاقية في شعره.

نبذة عن حياة الشاعر:

ولد سليمان أديبايو أحمد يوم الجمعة الرابع من شهر أبريل سنة 1952م بمدينة أيدي "Ede". اتصل نسبه من جهة الأب بالشيخ أحمد الرفاعي البيري "Alabere"، أحد أعلام الحزب الملوي بإمارة إلورن الإسلامية، وهو من ذراري الوافدين من كتشنا للجهاد، ومن جهة الأم بالحاجة عائشة من بنات العباقرة الوافدين مع الشيخ صالح (عالم) بن جنتا الفلاني للجهاد من مدينة كوهو بأوي⁴.

تعلم سليمان أحمد القرآن الكريم من والده، ومبادئ العلوم الإسلامية من الشيخ محمود الأيديوي قبل التحاقه بالمدرسة الابتدائية الحكومية بحارة أبنبي "Agbongbe"، سنة 1958م، وتخرج فيها 1963م. ولما تم له الرجوع إلى مدينة إلورن، تعلم من والده العلوم اللغوية قبل أن يلتحق بمركز التعليم العربي الإسلامي، أغيجي، لاغوس لمؤسسه فضيلة الشيخ آدم عبد الله الإلوري، وذلك سنة 1964م، وتخرج فيها بالمرحلة الإعدادية سنة 1968م بدرجة جيد جدًا، ولم يوهنه الكلل حتى حصل فيها أيضا على الشهادة التوجيهية (الثانوية) سنة 1970م، وقد حصل على الشهادة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة إبادان سنة 1975م، وهي الشهادة المؤهلة للتدريس في المدارس الحكومية. ثم حصل على منحة دراسية بجامعة بغداد في العراق سنة 1978م حيث حصل على درجة الليسانس سنة 1982م، وكانت خدمته في جوس وجامعة إلورن سنة 1983م، ونال الماجستير منها سنة 1986م، وكان يتابع قبوله للدكتوراه قبل رحيله⁵.

وظف محاضرا بكلية التقنية بالورن سنة 1985م، وكان رئيسا لقسم الدراسات القانونية والشرعية، وكان إماما وخطيبا موقوفا بمسجدها، وعمل سكرتيرا لجمعية محبي الدين الإسلامية وكان رئيس المجتمع الأكاديمي لها، ثم مركز نهات المؤمنين التابع لهيئة الإغاثة الإسلامية العلمية⁶.

كان الأستاذ سليمان أحمد شخصية علمية وأدبية قوية وشاعرا من الطراز الأول مفعما بالأحاسيس الإنسانية، وكان قوي الإيمان متمتعاً بالأخلاق الحميدة، ورث الشجاعة والإقدام والأنفة وعزة النفس من أبويه، وكان قوي الذكاء ومحباً للعلم وأهله، وكان متعدد المواهب كاتباً منمقاً وخطيباً مدققاً وموجهاً خبيراً ومحاضراً قديراً، وظف هذه القدرات الهائلة في ترسيخ ركائز الأخلاق في القلوب. وقد أدرك تماما أن الشاعر الملتزم بناء ماهر يسهم ببلنته الفنية التي يحملها في إقامة جدار الأخلاق الذي يهتد بالانقضاء في مجتمعه.

انتقل الأستاذ الشاعر سليمان أحمد إلى رحمة ربه في حادثة سيارة مؤلمة في غوسو "GusaU"، وهو في طريقه يسافر من زاريا إلى صكتو لمهمة أكاديمية يوم الاثنين 2000/7/3م خلفه زوجه وأربعة بنين⁷. وقد رثاه الدكتور عيسى ألي قائلا:

إني ذكرتك موهنا فدهاني ** حزن تضعض منه كل كياني
يا راحلا ترك الفؤاد معذبا ** أجرى رحيلك أدمع الإخوان
أبكيت من يهوى الخصال حميدة ** من رافة ودمائة وحنان
عايشتنا فبدت سجايك التي ** رفعتك فوق مراتب السلطان
عظرت سطورك في البلاد وإنها ** ستظل أعقب من غير جنان
فقد الزمان معلما وموجها ** هو قمة الإحسان والعرفان
ذكراك تبقى يا سليمان العلا ** في القلب حتى منتهى الأكوان⁸

السطور العاطرة وقيمتها الأدبية:

السطور العاطرة عنوان ديوان الشاعر سليمان أحمد صدرت طبعته الأولى سنة 1418هـ/ 1998م من منشورات مطبعة إبراهيم كيوليري الإسلامية، إلورن ولاية كوارا نيجيريا، وتصميم الغلاف عبارة عن رسم كتاب وهو الديوان يتصاعد من سطوره بخور يغطي الأرجاء برائحته الطيبة، وبجانبه منارتان طويلتان تناطحان السحاب وفوقهما هلالان تتوسطهما نجمتان، يعبر كل ذلك عن حسية الشاعر الفنية. والديوان صغير الحجم يقع في تسع وثلاثين صفحة بيضاء، يحتوي على تفریط ومقدمة و22 عنوانا، ومجموع أبياته 325 بيتا. وتنوع أبحر قصائد الديوان دليل على أن شاعرنا يتمتع بزماد العروض والقافية ويحسن استخدامهما للتعبير عن خلجات قلبه وأحاسيس ضميره بيسر وسهولة. أما عن شاعريته في الديوان، فيقول عبد الكريم جامع:

"أما شاعريته، فإنها تنبع عن إحساس قوي من ذات القائل، وصورة واضحة عن الإيمان، مما يفصح عن قرارة النفوس، وقد أعار الشعر بهذه الموهبة الفذة اهتماما بالغا، وكان يستشرف وجوها دلالية، بتصور دقيق منه يصيب المغزى، ويبلغ الكنه بالدعم العقلي والفني بين الصعب الممتع والسهل الممتع، بالاعتبار المناسب والملكة الشاعرة، والمقدرة الساحرة، وصقل التراكمات ومحكم النوازع العاطفية والإبراز التفاعلي في جميع المستويات"⁹.

وديوان "السطور العاطرة" إضافة قوية وجميلة إلى دواوين الشعر العربي النيجيري، وقوته وجماله ليسا فقط في حسن تراكيب ألفاظه وانسجام معانيه ووضوحها -وهي طبعاً من المتطلبات الأساسية والشروط اللازمة للنشر الجيد والشعر الجميل- ولكن سر قوته وجماله في حسن اختياره لعناوين قصائده وتنوع أغراضها من مدح ووصف ووعظ وإرشاد وأخلاق وسياسة. يقول صاحب هذا البحث مقررنا ديوان "السطور العاطرة":

"هذا الديوان يفتح صفحة جديدة من عالم الشعر العربي النيجيري، كتبه الأستاذ الشاعر سليمان أديبايو أحمد، الذي كان يظن نفسه من قبل عاشقا للشعر ومحبا لإيقاعاته المنسجمة ومعانيه الجميلة فقط، إلى أن اهتدى أخيرا إلى شاعريته الفياضة التي تتراءى اليوم فوق تلك السطور المعطرة التي تملأ الأحياء الأدبية أريجاً"¹⁰.

وأضاف المقرظ قائلا:

"حاول شاعرنا أن يلقي في ديوانه دعوة المنادين المخلصين إلى استغلال الملكات الفنية والقوى الأدبية لخدمة القضايا الإنسانية وتشجيع المجتمع في كل مكان على الالتزام بالقيم الإسلامية النبيلة لضمان غد أكثر إشراقا للبشرية جمعاء"¹¹.

آياته نادرة باهره ** تحملها سطور العاطره

تنم في الأرجاء نَمَا بما ** تبثه أفكاره الطاهره

ألفاظها ناصعة مثلما ** تبلورت درتنا النادره

يا عاشق الجوده في الشعر خذ ** مرتاح بال حكما سائره"¹².

وأخيرا، فالسطور العاطرة لوحة شعرية جميلة رسمها شاعرنا بإحساسه ووجدانه قبل أن يرسمها في السطور التي تصاعد ويتصوّع من ديباجته أريج البيان الجميل والأسلوب الرفيع والفكر الأصيل. وقد أدى بهذا العمل دوره الأدبي والأخلاقي والإنساني.

قضايا الأخلاق في السطور العاطرة:

كان شاعرنا عالي المهنة عظيم القدر متشعبا بالمبادئ الأخلاقية والقيم العليا، مترفعا عن الدنيا، وهي الصفات السامية تتراءى جلية في سطور الشعيرة. فمداحه لرجالات العلم والسياسة وذوي النفوذ في المجتمع وأقرب صدقائه ومعارفه إليه ما هي إلا تصورا لبعض ما فيه من أخلاقهم وصفاتهم المتميزة بطريقة غير مباشرة. وهذا الأمر، إشارة إلى الحالة النفسية لبعض الشعراء التي تتناغم مع أحوال ومدوحهم، فتراهم ينشطون عند ذكر مزاياهم الخلقية كالصدق والجهاد والتطهير بالنصح وإعلاء دين الله وتبليغ الرسالة والزهد في الدنيا ونيل الغرور. وكل هذه السمات الخلقية الجميلة ذكرها شاعرنا لوصف شيخه وأستاذه ونوره في قصيدة الرثاء التي قالها بعد مرور سنة من وفاة الشيخ آدم عبد الله الإلوري؛ مؤسس ومدير مركز التعليم العربي الإسلامي بأغيغي لاغوس، وشيخ بلاد علماء يوربا، وذلك سنة 1413هـ/1993م.

يقول شاعرنا في رائيته الجميلة عن شيخه:

كان من آباء صدق ** جاهدوا عبر العصور

طهروا بالنصح أقوا ** ما فصاروا كالحصور

همهم إعلاء دين الـ ** له في كل الدهور

بلغوا للناس حقًا ** كلٌ وحي في السطور
 مالت الدنيا إليهم ** فائقوها بالنفور
 كلما الدنيا تنادي ** ما استجابوا للغرور
 قالت الدنيا تعالوا ** ترتدوا زي الفجور
 طلقوا الدنيا بحدّ ** وابغوا أعلى الأمور¹³

ونادى تلاميذ الشيخ الذين شتبههم بالبدور في مجتمعاتهم يهدون الناس إلى ما فيه الخير والفضيلة. وذكرهم بما وردوا من بحر علمه وفضله ما هو أحلى وأعذب أن يحمدا الله على نعمه الكثيرة عليهم منها إخراجهم من ظلمات الجهل إلى نور العلم. هنا يذكرنا الشاعر بأهمية طلب العلم وفرضيته على كل مسلم ومسلمة. فطلب العلم والشكر لله فضيلتان من أخلاق الإسلام. يقول شاعرنا:

يا تلاميذ الإلوري ** أنتم خير البدور
 قد وردتم منه بحرا ** وهو من أحلى البحور
 وارثوكم من مياه الـ ** عالم الشيخ الجسور
 فاحمدوا الله تعالى ** إذ عناكم بالوفور¹⁴

ومن الأخلاق الحميدة أن يسعى المسلم ويعمل من الصالحات لوجه الله تعالى ولطلب رضاه. وهذا السعي الحميد هو الذي يؤدي إلى رحمة الله في الدنيا والآخرة وهو لا يسوّى بالسعي الكفور الذي يؤدي إلى سحق الله ونقمته. يقول الله تعالى: "فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنّا له كاتبون" (الأنبياء: 94). يقول شاعرنا:

من سعى سعيا حميدا ** لا يسوّى بالكفور¹⁵

وكان شاعرنا موجها كبيرا ومدربا عظيما ومعلما متميزا، فكان لا يميّز بين الرجال والنساء في التعليم والتوجيه والتدريب. وكان يؤيد توظيف المرأة وتشغيلها في المؤسسات لرفع مستواها الاقتصادي في المجتمع ومحاربة البطالة إذا كان عملها لا يتعارض مع الضوابط الشرعية والقيم الأخلاقية، ولا يؤدي إلى تخريب بناء الأسرة وإفساد المجتمع. وكنت أشفق على شاعرنا، وأعجب كيف استطاع أن يوزّع أوقاته بين عمله الرسمي كماضر بكلية التقنية وإمام مسجدها والتزاماته الاجتماعية الأخرى، وبين إدارته لمركز أمهات المؤمنين الذي أسسته هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية لتعليم النساء الخياطة والنسيج وتدريب المنزل وغيرها من المهارات اليدوية.

وقد أحب شاعرنا مركز الهيئة وبذل كل ما في وسعه لتيسير أموره وإدارة شئونه ومساعدة العاملات فيه. ويرى أنّ المركز روضة العاشقين لإغاثة المسلمين وتعليم النساء الدين وإحيائهنّ، وهو يستنير بنور أزواج الرسول اللاتي اصطفين وقُضِلن على نساء العالمين، وهو كنز ثمين وغبطة المحسنين. وقد خاب من أضحي ويرى المركز لعة

العابثين لأنهم آمنون في أحضانهم يقيهم من آفة الدنيا، طاب اسمه وهل كاليدّر نورا وتألّوا، فأصبح قرة للناظرين لجماله وحسن بنيته. يقول:

هيئة الإسلام فينا ** أمست للعالمينا
مركزا أهدت إلينا ** وهو روض العاشقينا
مركزي خاصّ بتعليم ** م النساء الدين لينا
فيه تدريب وعلم ** بغية للطالبينا
مركزي يحيا ويحيي ** أمهات المؤمنينا
مركزي نُورِت من نو ** ر اللواتي أصطفينا
هنّ أزواج الرسول الـ ** حقّ خير المرسلينا
مركزي هذا لكنز ** كان في الدنيا ثمينا
نحسب من أضحى يراه ** لعبة للعبثينا
نحن في أحضانه من ** آفة الدنيا يقينا
طاب إسما هل يدرا ** قرة للناظرينا¹⁶

إنّ تلبية الدعوة لحضور المناسبات حقّ وواجب على المسلم لأخيه المسلم لأنها تحقّق معنى الأخوة والمساواة وتقوّي عرى المحبة بين الناس وتصقّي النفوس فيما بينها ويعدّ الإسلام الممتنع عن تلبية الدعوة عاصيا. يقول الله تعالى: "إنما تامعونون إخوة" (الحجرات: 10). وعن أبي هريرة أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "للمؤمن على المؤمن ستّ خصال: يعودّه إذا مرض، ويشهده إذا مات، ويحييه إذا دعاه، ويسلم عليه إذا لقيه، ويشمّته إذا عطس، وينصح له إذا غاب أو شهد" أخرجه البخاري ومسلم في الصحيح. فشاعرنا -امتنالا لهذه الأوامر- يلقي الدعوة حتى من طالباته اللاتي يتوسّم فيهن الخير والصالح والدين. ففي حفلة زفاف مريم؛ إحدى طالباته عام 1412هـ/1993م يقول في قصيدته التي عنوانها "حفلة الزفاف":

وزوجك للعائلة ** وجولته عاصمه
فكوني له طائعه ** أيا مريم القاهمه
ولا زوجة صالحه ** سوى من بدت بخادمه
فنعمتنا دائمه ** وصحبنا سالمه¹⁷

فقد رأينا شاعرنا في هذه الأبيات الأربعة المختارة ينصح مريم العروس أنه إذا عزم زوجها العائلة برجولته وقام خير قيام بالنفقة عليها والدّب عنها عملا بقوله تعالى: "الرجال قوامون على النساء" (النساء: 4)، فعليها أن تكون زوجة مطيعة فاهمة لأنّ صلاح المرأة في خدمتها لزوجها، فبذلك تدوم النعمة والرحمة والمودة والحنان وتسلم

الصحبة وتلذذ. وفي طالبة أخرى اسمها حفصة قال قصيدة بعنوان "جمال للمرأة المسلمة" سنة 1416هـ/1995م

فدى قلبي لحفصة لا سواها ** فقد سمحت لداخله حماها
تدينها بلا شك وقاها ** وزادتها ثقافتها وجاها
بذات الضاد تنطق في هدوء ** كعذب الماء تشربه شفاها
حياء الدين يكسبها جمالا ** وكلّ الوقت تحجب في كساها
تطالبها شريعتنا بزيّ ** فصار الزيّ رغبة من رناها
وحشمتها تدلّ على صلاح ** وأبدع ذاك فيها من حياها
إذا بكر تجمع ذاك فيها ** تنور يومها وصفا غداها
ومن يظفر بحفصة من رجال ** فصنعت تباركها يداها¹⁸

نرى في هذه الأبيات الرائعة أنّ الجمال الحقيقي للمرأة عند شاعرنا ليس إلّا في تدينها، ومقدرتها على التحدث باللغة العربية الفصحى وفي حماها وحشمتها. فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "تنكح المرأة لأربع، لمالها ولحسبها، وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين، تربت يداك" (صحیح البخاري، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، حديث: 4803).

إنّ الفكرة المرتسخة في أذهان غالبية المتعلمين من المسيحيين والمسلمين أنّ الدين طاهر وأنّ السياسة دنس - بغض النظر عن نوايا أصحاب هذه الفكرة - تجد ما يبرزها ويؤيدها من أقوال وأفعال بعض السياسيين في نيجيريا. فقلّما تجد منهم من إذا قال صدق، وإذا وعد وفى، وإذا عمل أجاد وأفاد. وأكثرهم - إذا استعزنا تشبيه الشيخ آدم عبد الله الإلوري - كالأرضة التي تأكل الأحشاش وتغلاّ مكانها التراب¹⁹. الأمر الذي جعل شاعرنا نيجيريا آخر يصف سياستهم بأنّ خيرها شرّ وما هي إلّا الكذب والتدجيل والضرّ، وهي ترفع الأنزال الذين هم مثل الذئب تحسبهم غنما لمظاهريهم البراقة وسياراتهم الفاهرة وأقوالهم المعسولة وهم يخيبون آمال الأمة وهم محبة البلاد. يقول:

إنّ السياسة خيرها شرّ ** الكذب والتدجيل والضرّ
كم ترفع الأنزال تحسبهم ** غنما وهم خطب وهم أمر
قد خيّبوا آمالنا فيهم ** هم محنة قد نالها القطر²⁰

ومع ذلك، فإنّ شاعرنا سليمان أحمد وجد في صديقه وحبيبه السياسي والوزير المسلم المنتزح الراحل الدكتور عبد الحليل أمالوتني رمز الصبر والاحتمال وعلوّ الهمة والعطاء وأسمى الخصال. وفي قصيدة له سنة 1413هـ/1993م، يقول عن صديقه السياسي:

ربّنا يا ذا الكمال ** ربّنا يا ذا الجمال

أيدن عبد الجليل ** ربنا يا ذا الجلال
 يجتني الله ويرعى ** من يصفي من رجال
 فاز جني إذ تعلّى ** بعد صبر واحتمال
 أنت للأعلى همّام ** يتغيه ذو البسال
 لا يذلّ الله عبداً ** حاز من أسمى الخصال²¹

تقوم بعض الجامعات السعودية سنوياً بتنظيم دورات تدريبية لمعلمي اللغة العربية والثقافة الإسلامية محثاً في بعض دول العالم، وتستفيد نيجيريا من هذه الدورات التي أسست للتركيز على مبدأ تخريج جيل قادر على رفد مجتمعه بكفاءات وخبرات ومهارات في مجال تعليم اللغة العربية والدراسات الإسلامية. وكان الطلبة ينتظرون قدوم الأساتذة من السعودية باشتياق شديد لما يفتح ذلك أمامهم من فرص عديدة، كتلقّي الدروس من العرب مباشرة، وتوزيع الكتب الجديدة في المواد العربية والإسلامية عليهم، والحصول على المنح الدراسية التي تمكنهم من مواصلة دراساتهم في المملكة العربية السعودية. وتشهد حفلة اختتام الدورة حضور جماهير غفيرة، وتوزع الجوائز على الطلبة المتفوقين والأعيان الحاضرين مع إلقاء الكلمات والقصائد، وهو يوم مشهود يدخل السرور في قلوب الطلبة.

رحّب شاعرنا عام 1414هـ/1993م، بالأساتذة السعوديين الوافدين من الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة. ومن أسمائها طيبة التي وصفها بالإرغاد خيرها وبركتها وسعة أرزاقها، وقد قطعوا في سيرهم مسافات طويلة لينزلوا في بلاد شاعرنا بعد اشتياق طويل وهم يحملون معهم العطايا النفيسة، ويتحتملون متاعب السفر ليعلموا الناس دين الحق والرشاد، ويدربوهم في كسب القدرات والمهارات في اللغة العربية الفصحى؛ لغة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الهادي والمناادي إلى الخير، وقد ازدادت أرباحنا في هذه الدورة. فكل من حاز العلم ونال مراده على أيدي هؤلاء العلية الذين ينصرون الحق ولا يخافون لومة اللائم المعادي فقد نال خيراً كثيراً، لأنهم من خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

يقول شاعرنا:

أهلاً بخير العباد ** من طيبة الإرغاد
 قد جبتكم كل الأفاصي ** لتنزلوا في بلادي
 بعد اشتياق طويل ** فجتتم بالحياد
 درّتمونا على دين ** الحق دين الرشاد
 علمتمونا لساناً ** لفظ النبي المنادي
 في دورة العلم كانت ** أرباحنا في ازدياد
 فحائز العلم هذا ** قد حاز كل المراد

يا عليّة القوم حقاً ** زوّدتُمونا بيزاد
 فالعيش يصفو وننحو ** من أجله في المعاد
 في نصرة الحقّ لستم ** تخشون لوم المعادي
 بل كنتم حير أمّه ** أخرجتم للعباد
 فتأمرون بعرف ** كنهكم عن فساد²²

وفي ترحيبه بالوفد السعودي برئاسة الدكتور خالد العجمي الذي زار كلية محيي الدين الإسلامية بمدينة إلورن، عام 1418هـ/1997م. وصف نيجيريا بأنها بلاد العجم الذين يرضون بالإسلام ديناً، وهي بلاد لا تضايق القائمين فيها وتشجع قدوم الأجانب الوافدين إليها وهي بلاد أكبر ما يميزها عن غيرها من البلدان الأخرى السلام والأمن والاستقرار التي ترغم أنوف الحاقدين الحاسدين. يقول شاعرنا:

نزلتم في بلاد الأعجمينا ** رضوا في الناس بالإسلام ديناً
 بلاد لا تضايق ساكنيها ** وترغب في ازدياد الوافدين
 وأكبر ما يميزها سلام ** ويرغم ذا أنوف الحاقدين²³

وفي قصيدته المعنونة "العلم عطاء الإسلام" عام 1414هـ/1993م، التي يشجع الشباب بها على تحصيل العلم، قال:

"على الإنسان أن يحمد الله سبحانه وتعالى لوجود شباب يبتون أسورة العلم والمعرفة ويشيدونه قباباً عالية، أولئك أعظم الناس في أنظار المفكرين. وهم الذين يتمسكونون أنديّة الأدب، يخالف الجهلاء الذين لم يثقلوا في الميزان، مع أنّ رأس الأمور للعلماء تعود إلى الاستقامة الدؤوب، والعمل بالكياب والسنة"²⁴.

حمدت الله إن تر في شباب ** تراث العلم شيده قباباً
 أجلّ الخلق في نظري أناس ** رحاب العلم قد أخذوا رحاباً
 ولو قست الأنام بغير علم ** هوى المقياس وانقلبوا ذهاباً²⁵

وفي قصيدة "الإمامة في الإسلام" في أوصاف أئمة المسلمين عام 1415هـ/1994م، يشيد شاعرنا بمقام الأئمة الرفيع في الدين إذا توافرت فيهم المعايير الشرعية للنهوض بأعباء الإمامة الثقيلة، مثل العلم والزهد، ونسب الهوى والخلق الحميد، فيقتدي بهم الوضع ليرتقي إلى الأعلى. أما إذا فقدوا الأخلاق، وساءت أعمالهم، فيكونون مثل طبيب يعاني مرضاً عضالاً لا يرتجى له شفاء، ولا يستطيع أن يشفي سقيماً وجيعة غيره لأنّ المريض لا يداوي المريض، أو مثل يد الغسّال التي توترت فلا تستطيع أن تنقي الثياب الوسخة. وإذا كان الأئمة أصحاب الهوى فعلى صلاح العباد وهداهم السلام. يقول شاعرنا:

أثمتنا مقامهم رفيع ** بهم يرقى إلى الأعلى وضع

قيادتهم ترافقها علوم ** وزهد العارفين لهم ربيع
ومن ينط البعير إلى عراهم ** فلا منهم يضل ولا يضيع
فأما فاقد الأخلاق منهم ** فلا يجلو له طلع بديع
طبيب فيه جرح لا يداوي ** ولا يشفي به سقم وجيع
يد الغشال إن ورمت وحكت ** فلا ينقى بها درع بشيع
إذا اتخذ الإمام هواه ديناً ** فلا ينجو به عبد صريع²⁶

وفي حفلة توزيع الشهادات الدراسية على طلاب كلية محيي الدين الإسلامية عام 1417هـ/1996م، نصح الطلاب بأن يتحلوا بأخلاق العلماء في طلب مزيد من العلم وتحصيله لأن العلم كماء البحر تزداد ظمأ بشره، ومهما تنل حظاً وافراً منه فإنك تشعر كأنك لا تزال تلميذاً صغيراً وطالبا، مصداقاً لقوله تعالى: "وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً" (الإسراء: 85). فعليهم أن يعلموا بأن العلم من المهد إلى اللحد والشهادات لا تعني بلوغ القمة في العلم، ولا يصلون إلى مقصودهم إلا بالجهد والدعاء. يقول شاعرنا:

ومهما تنل حظاً من العلم وافراً ** فما زلت تلميذاً صغيراً وطالبا
فلا يغتر من نال منكم شهادة ** على درس علم أنه صار ساكبا
لقد فاز من يزداد في كل لحظة ** من المهد حتى اللحد علماً مناسباً
وصول إلى المقصود بالجهد والدعا ** فلا تغفلن عن دين إن كنت كاسبا
إلهي زدني في العلوم وفي التقى ** ولا تجعل من يستعينك خائباً²⁷

وفي قصيدة الترحيب بالضيوف الذين حضروا حفلة تعميم إمام حيّ إيتا إيتا (Ita- Egba)، من أحياء مدينة لورن المشهورة، ولد شاعرنا في بيت من بيوتها اسمه الأبيري (Alabere)، يشكر الحاضرين، ويشيد بفضل تلبية الدعوة لأن ذلك فضيلة تبدي اهتمام المدعو بالداعي، وهو مسعى جميل وصائب، وأن من أسدى إليك معروفاً لم تشكره عليه فكأنك لصّ سلب بضائعه في وضع النهار. يقول:

متى ما دعوناكم أحبتكم دعائنا ** فكم حاز فضلاً من دعونا فما أبي
وجودكم في الحفل يبدي اهتمامكم ** بنا وهو مسعى كان لا شك صائباً
إذا المرء لم يشكر صنيعاً وهبتهم ** فذا كان لصّاً للبضائع سائباً²⁸

وقصيدة "انتهاز الفرصة بركة" قالها شاعرنا سنة 1417هـ/1997م، يؤكد فيها بأن فرصة العمل للإنسان في الدنيا فقط وليست بعد الممات، لذلك لا يجوز التكاسل والتقاعد في انتهاز الفرصة مع تمام الصحة والقدرة، لأن تضييع الإنسان إياها قد يكون ندامة وحيرة في محاولة الحصول على مثلها من جميع الجهات بالالتفات، وهو حاسي أن كسله وتساهله في الأمر قد فعلاً مثل ذلك ت فيمن ضيعوها من السابقين، إلا الذين أخذوا فرصهم تأسوا وتزاحموا في استخدامها فسعدوا²⁹.

يقول شاعرنا:

للمرء في الدنيا جهود يُسَرت ** وجوده بعد الممات تعذرت
لا تخملن إن فرصة لك أَسحت ** ما دمت حيًا والأمور تيسرت
من يجتنب في يومه كسلا فقد ** طابت له أيامه وتنورت
لتخلف وتبطؤ وتساهل ** فقدت نفوس خيرها وتذمرت
كم من نفوس قصرت فتذلت ** كم من نفوس ثمرت فتوقرت
كم من نفوس أبطأت فتخلفت ** كم من نفوس أسرع فتحضرت
من ينتهر من بعد هذا فرصة ** ظفريدها في الدنا وتبرزت³⁰

وفي رثاء الشيخ صلاح الدين تَمبُونِي من وجهاء بلدة أرَنْ أَوْرَنْ (Aran Orin)، وأحد أعزائها المتوفي سنة 1418هـ/1997م، يستحج شاعرنا لإلحاح عاطفته الدينية الصادقة أن يقول قصيدته العينية للتعبير عن حزنه وأساه لموت والد صديقه الحاج يوسف صلاح الدين تَمبُونِي أحد علماء البلدة ومن مثقفيها البارزين، ولتأدية واجبه الأدبي. فقد وصف الفقيد بأنه عزيز القوم وأكبرهم خشوعا، وزين الإسلام، ومطاع ولد في بيت الإمارة، قاومه أناس لكنه احتسب بحصن دينه المنيع، فعدا بذلك مهيبا ومخلصا لدينه متميزا في إسلامه في بلدة يسود فيها الكفر، وكان جوادا وشيخ قبيلة يحافظ على العرف وهو ما تعارف عليه الناس في عاداتهم ومعاملاتهم. يقول شاعرنا:

بطون الأرض حلّ بها دفين ** عزيز القوم أكبرهم خشوعا
صلاح الدين في الإسلام زين ** وفي بيت الإمارة من أطيعا
وأسلم مخلصا فغدا مهيبا ** وفاق بذأ عشيرته جميعا
وفي بلد يسود الكفر جورا ** تميز مسلما حرّا شجاعا
وكان لمن يعاوده جوادا ** ويرجع ذاك مسرورا قنوعا
وذو عرف جزاه الله خيرا ** فعرف الناس بكره أن يضيعا³¹

والقصيدة الأخيرة في "السطور العاطرة" نظمها شاعرنا سنة 1418هـ/1997م، عنوانها "المدامومة على العمل" نداء إلى المسلم أن يحلّي عمله بالمدامومة عليه وألا يكون حاملا متكاسلا، فالخمول والتكاسل من شيم الضعاف. إن ملازمة العمل مع المدامومة عليه توصل إلى كماله، ولا يضرّ الإنسان طول زمنه ما دام منجزا، بأن خير الأعمال حوائجها لجودة أثمارها واكتمالها³². ونجاح كل عمل في إحلاص القائم به وكده للوصول إلى النتيجة المقنعة، وفي احتكاك الظلل في السماء لإنزال الماء آية للعالمين، ومن يتغنى رضوان الله لا يستعذب الكسل. يقول شاعرنا:

وخير المساعي حوائيمها ** ولا يد من أحرها المكتمل
وما سعيننا اليوم يجري سدى ** سيحدي غدا باقتناص الأمل
ياخلاص قلب يسود الفتى ** إذا صبح عزم ثبين السبل
وفي الكد حد بأنواعه ** وما يلتقيه سوى المشتغل
وما جاد مزن على يابس ** إذا لم يقع إحتكاك الظل
ومن كان في يومه يتغي ** رضى الله لا يستسغ الكسل³³

الخاتمة:

وختاماً، تبين لنا كيف استخدم شاعرنا سليمان أحمد لغته الجميلة وأسلوبه الرائق لإبراز مزايا الأخلاق في سلوك ممدوحه في شعره. فيجب أن نقر هنا بكل صدق وأمانة ومسؤولية أن شاعرنا لم يجعل في حياته مسألة الأخلاق والفضائل مسألة تذكر باللسان فحسب، وتلاك في الفم كالحلوى، بل جعلها أسلوب حياة ونمط سلوك يسير في دربها ويستنير بنورها ويستنشق أهواءها في عشيته وضحاها.

وعلى هذا نقول بأن شاعرنا أحسن استغلال فنه الشعري الجميل لخدمة الأخلاق وتنمية القيم والفضائل. والفن الذي لا يخدم الإنسانية يعد فناً رخيصاً مبتذلاً، ولهذا لا ينقطع الحديث عن وظيفة الفن ولا يستنفد النقاش عن أهميته. تقول الكاتبة فطيمة داؤد:

وقد جعل الفن أداة لخدمة الأخلاق عند بعض الباحثين، وعند البعض الآخر اعتبروه غاية أي الفن للفن، وهناك رأي ثالث يخضع الفن لمبادئ الأخلاق ومقاييسها ورفضوا الفصل بين الفن والحياة أمثال تولوستوي، والعلاقة متينة بين الفن والمثل العليا، ومن ثم، يكتب لفن الخلود فيرتفع فوق حدود الزمان والمكان، فكلما كانت التربية الإبداعية أرقى كلما تسامى الإنسان وترفع عن الرذيلة³⁴.

الهوامش:

1. فطيمة داؤد، "فلسفة الأخلاق في شعر مفدي زكريا"،

http://www.voiceofarabic.net/index.php?option=com_content&view=ar

11:35 am, 30/06/2012

2. أحمد الإسكندري وآخرون: المنتخب من أدب العرب، ج 1، مطابع دار الكتاب العربي بمصر، 1953م، ص: 112

3. المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

4. عبد الكريم جامع سعد الله: "شعر الوعظ والإرشاد لدى الأستاذ سليمان أدنيان: دراسة أدبية"، (بحث مقدم إلى قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة اليرموك، لنيل درجة الليسانس في اللغة العربية وآدابها، مايو 2011م جمادى الأخيرة 1432هـ) ص: 33

5. المرجع نفسه، ص: 33-34

6. المرجع نفسه، ص: 34

7. المرجع نفسه، ص: 38

8. عيسى ألي أبوبكر (الدكتور): ديوان الرياض، ط1، مطبعة ألي للطباعة والنشر، إلورن نيجيريا، 2005م، ص: 216.
9. عبد الكريم جامع سعد الله: المرجع السابق، ص: 37.
10. سليمان أديباو أحمد: السطور العاطرة، ط1، مطبعة إبراهيم كيولوي الإسلامية، إلورن، ولاية كوارا، نيجيريا، 1418هـ/1998م.
- تقريباً 5. عيسى ألي أبوبكر، ص: 2.
11. المرجع نفسه، ص: 3.
12. عيسى ألي أبوبكر (الدكتور): المرجع السابق، ص: 154.
13. سليمان أديباو أحمد: المرجع السابق، ص: 9-10.
14. المرجع نفسه، ص: 10.
15. المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
16. المرجع نفسه، ص: 12-13.
17. المرجع نفسه، ص: 13-14.
18. المرجع نفسه، ص: 25.
19. آدم عبد الله الإلوري (الشيخ): الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا، ط2، مطبعة الثقافة الإسلامية، أغيني، لاغوس، نيجيريا، 1423هـ/2002م، ص: 76.
20. عيسى ألي أبوبكر (الدكتور): المرجع السابق، ص: 162.
21. سليمان أديباو أحمد: المرجع السابق، ص: 14-16.
22. سليمان أديباو أحمد: المرجع السابق، ص: 18-19.
23. سليمان أديباو أحمد: المرجع السابق، ص: 36.
24. عبد الكريم جامع سعد الله: المرجع السابق، ص: 41.
25. سليمان أديباو أحمد: المرجع السابق، ص: 19-20.
26. المرجع نفسه، ص: 21-22.
27. المرجع نفسه، ص: 29.
28. المرجع نفسه، ص: 29-30.
29. عبد الكريم جامع سعد الله: المرجع السابق، ص: 48.
30. سليمان أديباو أحمد: المرجع السابق، ص: 32-33.
31. المرجع نفسه، ص: 33-34.
32. عبد الكريم جامع سعد الله: المرجع السابق، ص: 54.
33. سليمان أديباو أحمد: المرجع السابق، ص: 38.
34. فطيمة داؤد: المرجع السابق.



ISSN: 2684-5883

AL-QARYAH

INTERNATIONAL JOURNAL

(AN ANNUAL PEER REVIEWED: ARABIC CULTURAL JOURNAL)

PUBLISHED BY

NIGERIA ARABIC LANGUAGE VILLAGE

NGALA NIGERIA

(INTER-UNIVERSITY CENTRE FOR ARABIC STUDIES)

VOL. 1 – NO. 1 (JUNE 2017)

ALBAPKA PUBLISHERS, KANO
08032709119, 0412229229, 0116270869